أنفلونزا الخنازير: القيامة الوهمية و مصالح الإحتكارات

د. ثائر دورى

في البداية كان هناك جنون البقر، ثم الحمى القلاعية، ثم الجمرة الخبيثة، ثم السارز، ثم أنفلونزا الطيور، و الآن أنفلونزا الخنازير، فكلما تأزمت أوضاع العالم السياسية والاقتصادية والإجتماعية، وتركزت أنظار الناس على بؤرة المشاكل الحقيقية يتم تفجير قنبلة دخانية بعيداً عن بؤرة الأحداث لتشتيت الإنتباه.

دخلت البشرية قبل أشهر الطور الأخير من أزمة سياسية و إقتصادية و إجتماعية طالت كافة بنى النظام العالمي القائم الذى تقوده الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها الغربيات، لكن أثناء الأزمة الأخيرة برزت ظاهرة جديدة لأول مرة منذ إنطلاقة النظام العالمى القائم قبل خمسة قرون ونيف، وتحديداً منذ سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ وسيطرة الغربيين على مقاليد هذا النظام وتعميم طريقة حياتهم وقوانينهم كطريقة حياة وقوانين عالمية، فلأول مرة منذ نهوض هذا النظام قبل خمسة قرون بدأ ينشأ وعي عند أغلبية البشر مفاده أن هذا النظام لم يعد صالحا لإدارة الحياة البشرية ولا بد من تغييره، و هذا الوعي، الذى كان فيما مضى تمتلكه نخبة صغيرة محاصرة لا يسمع لها صوت، و القاضى بضرورة التغيير الشامل بعيداً عن عمليات التجميل والترقيع بدأ ينتشر لدى شرائح واسعة من الناس فى شمال العالم وجنوبه بعد أن شاهدوا بأم أعينهم موارد التهلكة التى أوردهم إياها النظام القائم، فقد أباد الضرع، وأهلك الحرث، و حوّل كوكب الأرض قاعاً صفصفاً بل مقبرة واسعة، كما أن كوارثه لم تعد مقتصرة على جنوب العالم بل إمتدت لتطال سكان الشمال المترف الذين و حتى قبل إنفجار الأزمة الأخيرة كانوا بمنأى عن الأزمات.

لكن المسيطرين ليسوا على إستعداد للتخلى عن سيطرتهم، ولا المستضعفين أمتلكوا بعد الوعي والقوة الكافيين لإزاحة الطغمة المسيطرة على العالم، و بما أن هذه الطغمة لا تمتلك حلا للمشاكل الراهنة، فرغم إصرارها على تشبيه الأزمة الراهنة بأزمة عام ١٩٢٩ للإيحاء بأنها عابرة و سرعان ما تزول، فهي أول من يدرك عدم صحة هذه التشبيه، كما أنها تعلم علم اليقين أن هذه الأزمة ليست أزمة نمو ولا أزمة دورية، بل هي أزمة إندثار نظام كامل بكل عاداته وتقاليده وأفكاره وطرق استهلاكه وإنتاجه، و بما أنها لا تمتلك الحل فهى تشترى الوقت مجرد شراء وأهم أسلحتها في هذا المجال هو تخريب الوعي و تشتيت الإنتباه.

منذ أن أنجز بافلوف تجاربه على المنعكس الشرطى لدى الكلاب وخرج بإستنتاجاته المعروفة التى تقول إن المنبه القوى جداً يشتت الإنتباه ويحول الكائن الحى إلى عجينة لينة سهلة التشكيل، وأقوى منبه هو التهديد بالفناء و الخوف من فقدان الحياة، منذ ذلك الوقت تحولت عمليات غسيل الأدمغة للشعوب و تبديد وعيها إلى عمليات روتينية تقوم بها دوائر إعلامية و إستخباراتية وإقتصادية، فتحول سلاح الخوف إلى سلاح دمار شامل للوعى، ففى السبعينات لعبت هوليوود دور مركز القيادة فأنتجت أفلاماً كثيرة عن حروب الفضاء، و عن فناء الكون بأسلحة غريبة، وعن نمل ونحل وطيور قاتلة تدمر الحياة البشرية، و كان من السهل دمجها فى المخيلة بالعدو السوفيتى الذى كانت وسائل الإعلام الغربية لا تتوقف عن التحذير من خطره وإستهدافه لنمط الحياة الغربى فى حين أن الإتحاد السوفيتى وطوال حياته كان مستهدفاً من قبل الغرب ولم يخرج عن وضعيته الدفاعية أبداً. و بعد نهاية الحرب الباردة إنزاح مركز إنتاج الرعب إلى مختبرات الصحة وحل الأطباء والعلماء مكان مخرجى وممثلى هوليوود فى نشر الرعب، وبدل العدو الواضح المعالم سواء كان نملاً أم نحلاً أم طيراً أم سلاحاً نووياً أم مخلوقاً فضائياً (واضح المعالم مثل الإتحاد السوفيتى) حلت كائنات هلامية من جراثيم وفيروسات لا لون لها و لا طعم تحقق معادلة أنها موجودة فى كل مكان و غير موجودة في الوقت عينه، و أنه لاخطر منها لكنها فى لحظة قد تبيد الحياة البشرية، وأن كل فرد مستهدف فى بيته و فى عمله و في مكان نومه، كما أن هذا القاتل الجرثومى أو الفيروسى لا يمكن تحديد ماهيته بدقة، و كل الصفات السابقة تنطبق على مواصفات العدو الأسطورى الذى يشن الغرب الحرب عليه و نعني الإرهاب.

فى هذا السياق يمكن فهم تفجير ما يسمى بأزمة أنفلونزا الخنازير التى هي تكرار حرفى لأزمة مفتعلة سابقة قبل سنوات هي أزمة انفلونزا الطيور، التى أنفجرت مع بلوغ الإحتلال الأمريكى للعراق مأزقه القاتل و إنشداد أنظار الناس إلى ما يجري في العراق فتم تفجير تلك القنبلة الدخانية المسماة انفلونزا الطيور التى صارت معروفة المسار، و ستتبع أزمة ما يسمى بأنفلونزا الخنازير مساراً مماثلاً، فسرعان ما تلقفت منظمة الصحة العالمية الخبر و بثت تحذيراً عاجلاً، و ظهر على الشاشات أشخاص تبدو عليهم الجدية و يسمون أنفسهم علماء ليعلنوا نبوءات قيامية، فإن غيّر فيروس أنفلونزا الطيور، أو الخنازير من إحدى جيناته، أو إندمج مع نوع آخر فقد يبيد ملايين البشر، و بدأ الضخ الإعلامى، فتصدر خبر الوباء الخطير نشرات الأخبار، و أعدت فقرات مصورة من كل أنحاء العالم تظهر إعدام الطيور بيد رجال يرتدون ملابس غريبة أشبه برجال الفضاء أو سكان الكواكب الأخرى كما صورتهم هوليوود فى السبعينيات، كما اتخذت إجراءات دقيقة على الحدود و في المطارات، و كأنهم يبحثون عن إرهابيين، فكل من شك بإصابته ألقى القبض عليه وأودع الحجر الصحى، كما هى قوانين مكافحة الإرهاب حيث يلقى القبض على الشبهة، ويمكن لأى منكم أن يقارن فى ذهنه الإجراءات المطبقة لمكافحة أنفلونزا الخنازير أوالطيور مع تلك المتبعة لمكافحة الإرهاب وستجدون تطابقاً مذهلا، فالبحث عن الفيروس مثل البحث عن الإرهابي يشبه البحث عن إبرة فى كومة قش، وإلقاء القبض على الشبهة، أو لأن الشخص قدم من مكان محدد، وأعتبار كل شخص مدان حتى تثبت براءته، و التركيز على المنافذ الحدودية، و كأن الفيروس أو الجرثوم إرهابياً يحمل جواز سفر و يتسلل عبر نقاط الحدود الرسمية فقط !

وفى العالم الثالث يبرز دور كل من الأكاديمى والمثقف التابعين المغروسين فى جامعات وصحف وتلفزيونات العالم الثالث، وهم فئة لا عمل لها سوى تلقف ما ينتجه المركز الغربى من أخبار وتكرراه ببغائية عجيبة، و إن إجتهدت فنحو مزيد من المبالغة. حتى أن التلفزيون السورى وأثناء أزمة أنفلونزا الطيور نصح ربات البيوت بإرتداء كمامة أثناء طبخ الفروج مع عرض صور توضيحية، و كأن ربة المنزل تقوم بتفاعل كيميائى خطير. وفى المحصلة النهائية، وهى النتيجة المرغوبة من قبل القائمين على الحملة، إنتشر رعب غامض لا يُدرك كنهه بمواصفات ما ورائية، رعب عصي على الإدراك ، عصي على التوقى و كأنه القضاء والقدر، فلو أنك تخاف من حيوان مفترس و تعرف أنه موجود فى مكان محدد فإنك تحجم عن الذهاب إلى ذلك المكان وترتاح، لكن ماذا بإمكانك أن تفعل تجاه موت قد يأتيك على جناح طائر أو مع نسمة هواء أو من شخص حولك.....الخ. موت لا سبيل لتوقيه لذلك يصير الفرد فى حالة أشبه بالهستيريا فيفقد القدرة على التفكير المنطقي، و المحاكمة السليمة، ويرتد إلى ذاته منطوياً عليها، أو ينزوي فى ركن منتظراً قدراً لا مفر منه. تماما كما هو الخوف من الارهاب.

لكنك إذا استطعت المحافظة على عقلك وسط هذه الهستريا الجماعية التى تلعب فيها الحكومات دور ضابط الإيقاع. أو على الأقل بقيت ممن يعتقدون أن ١+ ١ = ٢ كما كان يردد بطل رواية جورج أوريل ١٩٨٤، الذى لو شاهد المجتمع الأوربلي المعاصر مرفوعاً إلى أس مليون لأكد أنه لم يتوقع أن يصل الأمر إلى هذا الحد.

إن كنت ممن حافظوا على هذه البديهة البسيطة وراجعت سجل ما يسمى بوباء أنفلونزا الطيور لوجدت أن دول العالم أنفقت مليارات الدولارات على إجراءات الأمن، و على شراء لقاح تاميفلو الذى تبين أن وزير الدفاع الأمريكى السابق دونالد رامسفيلد عضو فى مجلس إدارة المختبر الذى طوره فى كاليفورنيا وهو من كبار المساهمين! كما أن صناعة تربية الدواجن فى شرق آسيا قد إنهارت تماماً مع العلم أنه لم تظهر إصابة واحدة في الولايات المتحدة الأمريكية و بقيت قطعانها سليمة.

أما فيما يخص الوفيات بهذا المرض فهى لم تتعد بضع عشرات، و كلهم ذوي أمراض سابقة فإما مصابون بالسرطانات، أو بالإيدز، أو بأمراض قلبية، و لمجرد المقارنة فإن الإنفلونزا العادية تقتل مليون إنسان كل عام .

إن آلة نشر الرعب وغسيل الدماغ باتت بحاجة إلى مادة جديدة بعد أن إستنزف ما يسمى بوباء أنفلونزا الطيور أهدافه، فلم تعد تجدى نفعاً محاولات النفخ الإعلامى برماد ناره التى إنطفأت عبر تسريب خبر وفاة فى مصر و أخرى فى أندونيسيا، فكان لا بد من إختراع قيامة وهمية جديدة فبدأ الحديث اليوم عن أنفلونزا الخنازير، و كالعادة سارعت منظمة الصحة العالمية المتواطئة مع الإحتكارات الدوائية والصناعية لإطلاق تحذير بشأنها، وأنطلقت جوقة إعلامية أستهلها الرئيس المكسيكى بإعلان حالة الطوارىء، وشاهدنا الجيش بأسلحته فى الشوارع، و هذا سبب جديد لإعلان الأحكام العرفية يضاف لقائمة الأسباب السابقة المعروفة ولاندري إن كانت جماعات حقوق الإنسان ستحتج على هذا السبب المبتكر لإعلان حالة الطوارىء! مع التذكير أن غوردن براون رئيس الوزراء البريطانى كان قد نادى أثناء إنتشار وباء الكوليرا فى زيمبابوى بضرورة التدخل الغربى العسكرى لوقف هذا الأمر (إستعمار صحى)! وتلقفت محطات التلفزة الأمر وخرج وزير الصحة البريطانى ليطمئن الناس فإذ به يقول لهم إن بريطانيا لديها ما قيمته نصف مليار إسترليني من التامفلو، و كأنه يقول لهم أمرضوا و الباقى علينا، أما وزيرة الأمن الداخلي الأمريكية فقد طمأنت الناس بأن إعلان حالة الطوارىء بسبب أنفلونزا الخنازير شبيه بما حدث أثناء تنصيب الرئيس ، وكأن الإجراءات الأمنية التي اتخذت أثناء تنصيب أوباما إجراءات إعداد لزفاف!

و خلال الأيام القادمة ستسرى قصص أنفلونزا الخنازير فى وسائل الإعلام كما تسرى النار فى الهشيم، و لن يتأخر مثقفو التبعية من أكاديمى جامعات العالم الثالث عن صب الزيت على النار، كما قلنا، إذ سيستعرضون ما تلقنوه من علوم فى الغرب، أو ما ترجموه بسرعة، وستبدأ حكومات الأطراف التابعة هى الأخرى بالتصرف كالببغاوات عبر إتباع إجراءات للوقاية من هذا الوباء الزاحف الذى يهدد بافناء البشرية عن بكرة أبيها!

وبعد حين سيصاب الجميع بالخيبة، فالوباء لم يحدث و البرابرة لم يأتوا، و قد نجت البشرية، وسيتنفس الفقراء الصعداء فما أهمية الجوع والفقر وفقدان العمل مقارنة بالموت والفناء.

لقد نجونا وبقينا على قيد الحياة وهذا يكفي. وستختفي أخبار الأزمة المالية عن الشاشات إلى حين، وسيتوقف البشر عن الإحتجاج فما أهمية فقدان العمل والبيت مقارنة بفقدان الحياة، و سيبيع رامسفيلد وشركاه بمليارات الدولارات دواءً لا نفع له يسمى التامفلو. وبعد حين ستنطفئ نار أنفلونزا الخنازير كما أنطفأت نار جنون البقر والحمى القلاعية والجمرة الخبيثة ونار السارز وأنفلونزا الطيور، ومن جديد ستبحث الإحتكارات عن مادة جديدة لإضرام نار الخوف القيامى ثانية و ثالثة ورابعة لأنه فى عصر أزمة النظام العالمى المفتوحة على اللانهاية، و حين تتكدس البضائع و تفلس المصانع و الشركات تبقى تجارة وحيدة رابحة هي تجارة الخوف. و حتى يستطيع البشر في كل أنحاء المعمورة كنس هذه الطغمة الحاكمة إلى مزبلة التاريخ يجب أن نستعد لأوبئة وقيامات وهمية كثيرة هذا إن لم يفعلوها بقيامة نووية حقيقية هذه المرة.

اخبار عالمية

نقابات عمال أوربا تدعو للرقابة على النظام المالى

قال إتحاد النقابات الأوروبية أن المسيرات الحاشدة التي شهدها الإتحاد الأوروبى الأسبوع الماضى أظهرت تصميم العمال على ضمان إصلاح النظام الإقتصادى العالمى وخضوع المصرفيين لقواعد تدقيق صارمة.

وقال إتحاد النقابات الأوروبية أن نحو ٣٥٠ الف شخص شاركوا فى مسيرات فى مدريد وبروكسل وبرلين وبراغ للمطالبة بمزيد من الإجراءات الحكومية لحماية الوظائف.

وألقى الاتحاد بمسؤولية الأزمة العالمية على نقص الشفافية فى البنوك وسعيها لتحقيق أرباح سريعة مما حمل دافعي الضرائب تكاليف إنقاذ المؤسسات المالية.

وقال جون مونكس الأمين العام للإتحاد أنه يجب عدم السماح لمثل "هذا الجشع والأنانية" بأن تتسبب مرة أخرى فى خسائر بتريليونات اليورو، وأضاف أن هناك حاجة الآن لتشديد اللوائح التنظيمية لأسواق المال ولمنح العمال مزيداً من النفوذ فى مجالس الإدارات.

وأظهرت بيانات نشرت الأسبوع الماضى تقلص الإقتصاد فى منطقة اليورو التى تضم ١٦ دولة بنحو ٢,٥ بالمئة فى الربع الأول من ٢٠٠٩ وهو أعلى بكثير مما كان متوقعاً.

الكساد في أوروبا تخطى المعدلات الأميركية

تخطّى الإنكماش الإقتصادى فى الإتحاد الأوروبى فى الربع الأول من هذه السنة المعدل المسجل فى الولايات المتحدة التى سبّبت إنكماشاً لاسابق له منذ ١٩٤٥، إذ شهد الإتحاد المكوّن من ٢٧ بلداً تراجعاً فى نمو الناتج بنسبة ٢,٥ فى المئة خلال شهر و١,٥ في المئة فى الشهور الثلاثة الأولى من السنة الحالية، ليبلغ ٤,٤ في المئة على مدى سنة، فيما أنخفض نمو الناتج الأميركي ١,٦ في المئة في الربع الأول وبنسبة مماثلة في الربع السابق.

وأشارت بيانات رسمية عن الناتج المحلى الأوروبى إلى «تفاقم الكساد» فى أوروبا، مع «تسارع وتيرة الإنكماش الذى بدأ قبل عام فى المنطقة فى ضوء تراجع الصادرات والإستثمارات فى المانيا فضلاً عن إنخفاض الناتج المحلي الفرنسى.

يُشار إلى أن صندوق النقد الدولى توقع إنكماش الناتج المحلى الإجمالى العالمى ١,٩ فى المئة للسنة الحالية، مرجحاً إنكماشاً فى أميركا بنسبة ٢,٨ فى المئة، وفى منطقة اليورو بنسبة ٤,٢ فى المئة وفى اليابان بنسبة ٦,٢ فى المئة وفي بريطانيا بنسبة ٤,١ فى المئة فضلاً عن تباطؤ النمو الصينى إلى ٦,٥ فى المئة من تسعة في المئة العام الماضي.

التحالف الحاكم في الهند يبدأ مشاورات لتشكيل الحكومة

بدأ التحالف الحاكم في الهند بقيادة حزب المؤتمر مشاورات لتشكيل حكومة جديدة بعد انتصاره في الانتخابات العامة.

وحسب نتائج الفرز التمهيدية حصل تحالف حزب المؤتمر على ٢٤٦ مقعداً بينما حصل تحالف المعارضة على ١٥٩ من إجمالي عدد المقاعد البالغ ٥٤٣ بينما حصل ائتلاف الجبهة الثالثة على ٦٠ مقعدا.

ورغم أن تحالف حزب المؤتمر سيكون مضطراً الى التحالف مع قوى سياسية أخرى لتحقيق الأغلبية البرلمانية المطلوبة والتي تبلغ ٢٧٢ مقعداً لتشكيل الحكومة، إلا أن هذا التقدم والذى فاق التوقعات يعطي الحزب حرية أكبر فى مفاوضاته مع طيف واسع من القوى السياسية على الساحة الهندية.

وكان زعماء حزب بهاراتيا جاناتا الهندوسي القومي المعارض قد أقروا في وقت سابق بالهزيمة فى الإنتخابات الهندية العامة التي جرت آخر مراحلها الأربعاء الماضى.

وليس من المتوقع أن يفوز التحالف بأغلبية كبيرة، إلا أن أحزابه حققت نتائج أفضل مما كان منتظرا.

وقالت سونيا غاندي زعيمة الحزب ان الشعب الهندي أقدم على الخيار الصائب، كما تعهد رئيس الوزراء مانموهان سينج بان يرتقي الحزب إلى مستوى الحدث.

وقال الرئيس الأمريكي فى بيان نشره البيت الأبيض: بإنجاز أكبر إقتراع شعبى فى العالم، رسخت هذه الإنتخابات ديمقراطية نابضة بالحياة."

أوباما يقرر إبقاء المحاكم العسكرية بغوانتانامو وسط انتقاد حاد

أعلن الرئيس الأميركى باراك أوباما أنه سيبقى المحاكم العسكرية فى معتقل غوانتانامو لمحاكمة المشتبه بأنهم إرهابيون.

وقال أوباما فى بيان أن المحاكمات العسكرية لها تقليد طويل فى الولايات المتحدة لمحاكمة الأعداء الذين ينتهكون قوانين الحرب بشرط أن تكون مشكلة ومدارة بشكل صحيح، لكن الرئيس الأميركى تعهد بسن قوانين جديدة لتعزيز حقوق المعتقلين بما في ذلك عدم الأخذ بالأدلة التي يتم الحصول عليها بإستخدام وسائل إستجواب قاسية.

وقال بريان ويتمان المتحدث باسم البنتاغون للصحفيين «إن الرئيس مصمم على إصلاح اللجان العسكرية إضافة إلى المحاكم الاتحادية لمحاكمة المعتقلين في غوانتانامو.

وأوضح أن تغييرات القوانين التي ستحال إلى الكونغرس تشمل عدم الأخذ بالأقوال التي يتم الحصول عليها بطرق قاسية أثناء الاستجواب إضافة إلى تشريع يحد من إستخدام الشهادة السماعية وتوفير مزيد من الحماية للمتهم.

من جانبها وصفت منظمة العفو الدولية الخطوة بأنها محبطة ولن تخدم العدالة، وذكرت الرئيس باراك أوباما بأنه صوّت ضد نظام المحاكم العسكرية عندما كان عضوا في مجلس الشيوخ.

يشار إلى أن هذا ليس التراجع الأول لأوباما عن تعهدات كان قدمها في السابق، فقد تراجع الأسبوع الماضي عن قراره بنشر صور بحوزة وزارة الدفاع الأميركية تظهر أساليب التعذيب التي كان يعتمدها الجنود الأميركيون في معتقلات بالعراق وأفغانستان

الحزب الشيوعى السودانى بأستراليا يحتفل بالمؤتمر الخامس

في حفل بهيج أضاء فرع الحزب الشيوعى السودانى سماء مدينة ملبورن ليلة ٢٠٠٩/٥/١٦، حفل جمع سحنات وأعراق وثقافات مختلفة في تناغم اشبه بالهارمونية الموسيقية التي تمزق سكون ليل المدينة احتفالا بالمؤتمر الخامس للحزب الشيوعي السوداني ساهمت في الإحتفال كل القوى السياسية فى المدينة وشارك ممثليها بكلمات عبرت عن فرحتهم بإنعقاد المؤتمر الخامس مشيدين بالدور العظيم الذي لعبه الحزب فى الحياة السياسية في السودان، كما شارك في الحفل ممثلين عن الحزب الشيوعي الاسترالي والتحالف الاشتراكي الاسترالي وتشكيلين أستراليين، وشملت الاحتفالية معرضا وثائقيا لصحيفة الميدان ومعرضا للكتاب أسهم فيه أعضاء الحزب وأصدقاءه بالعديد من الكتب القيمة، كما أشتمل اليوم علي معرض تشكيلي وحفل غنائى أفتتح بغناء كورالى ثم ترنم المغنين من مختلف أرجاء الوطن إحتفالا بالمؤتمر الخامس للحزب.

ترجمة كلمة الحزب باللغة الانجليزية

ممثل الحركة الشعبية

أنور حلفاوي كلمة الحزب

كورال الحزب باستراليا

معرض الكتاب المصاحب للاحتفال